عراك فى معترك

أى معترك !

للأستاذ زكى طليمات

— ٢ —

تصف الأستاذ محمد متولى فى رده علينا[1] متسقطاً أخطاء لم تقم إلا فى وهمه، وأسف إلى السباب وسقط الحديث فى جدل يجب أن يسوده الوقار والحجة العلمية ، كما أوضحنا ذلك فى مقالنا الأول ، فانحرف متولى بذلك عن (موضوعية) النقد الذى تحدث عنها بطرف لسانه دون طرف سنانه

(١) مطابقة الفيلسوف المعاصر

والدليل على ما نذهب إليه ـ وهو ليس الأول والأخير ـ أن متولى فى غيبوبة ألمه — ومصدر هذا الألم أننا رددنا أقواله

(١) الرسالة رقم ٣٨١ . ص ١٥٩٩

خيال بدا كالشبح أمامى وهمس فى أذنى : « إن كثيراً من ساميات الأفكار أضراب شيطانك تعمل عمل الأكرة المنتفخة فلا تكاد تضخم حتى تضمر » وأردف قائلاً بصوته الأجش وقد شاع شيوع الروح فى جوانب نفسى « أأنت عاشق أيها الأديب المنفرد؟ اعشق نفسك أولاً ثم احتقرها، فالأديب العاشق لا يبتدع إذا كان لم يبدأ باحتقار المحبوب !! »

غاب الشبح عن ناظرى فلقيت نفسى أسير على غير هدى وبيدى ما يثقلها وهو كتاب لتوماس هاردى ترجمه الأديب نجرى أبو السعود . جلست فى أول قهوة رمضانية أقرأ روح هذا الشاب المنتحر وقد مزجها بروح المؤلف العبقرى

عليك الرحمة أيها الأديب المنتحر فقد عرفت كيف تحب وتنجب وتحتقر ، وكيف تتفوق على إنسانيتك ، أما أنا فما زلت أحب ، وأحب الحياة ...

وأنت أيها الدكتور مبارك فسلام عليك من صديق يحبك ولا يحتقرك

حبيب الزحلاوى

بالحجة — أصدر أمراً بإرسالنا إلى « محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المتهترين بقدسيته وتعاقبهم على جناياتهم » لأننا وصفنا فى سياق حديثنا الفيلسوف الأمريكى (وليم جيمس) بأنه « الفيلسوف المعاصر » ، هذا فى حين أن وليم جيمس هذا توفى عام ١٩١٠ ، وكأننا بالأستاذ متولى يقول إننا تكلمنا عن فيلسوف لا ندرى متى انتقل إلى الدار الباقية ، وإن كلمة (معاصر) هذه لا تنطلق وصفاً إلا لفيلسوف ما برح يعيش فى عصرنا برئتيه وبقلبه !

وحرصنا على أن يزداد الأستاذ متولى علماً ، وبرنا بذهن القارىء الذى هو أمانة بين أيدينا يدفعنا إلى التبسط فى حديث ما كان أغنانا عنه لو كان الأستاذ متولى يعرف الموضوع الذى يجادل فيه ، أو يعرفه ولم يغالط ويعاند

إن كلمة « معاصر » هذه تدل على أقلام الكتاب عندنا كلمة Contemporain الفرنسية ، وهى فى إصطلاح مؤرخى الأدب ونقاده تطلق وصفاً للآراء والاتجاهات الأدبية والعلمية والفنية التى يأخذ بها عصر من العصور فى نواح من نتاجه الذهنى. وقد نص على هذا المعنى المصطلح عليه العلامة Littré فى مؤلفه (معجم اللغة الفرنسية) وهو حجة المعجمات الفرنسية بما يأتى :

La raison contemporain : est l'ensemble des choses qu'une société admet comme vrai à une époque donnée.

وترجمة هذا النص : « إن الرأى المعاصر هو مجموعة أشياء يعتبرها مجتمع ما حقيقة فى عهد معين »

فإذا نحن وصفنا (وليم جيمس) المتوفى عام ١٩١٠ بأنه (معاصر) فمعنى هذا أن آراءه الفلسفية ما زالت يؤخذ بها فى شئون الفلسفة وفى شئون الحياة . (فالبراجماتيزم) أو مذهب (الذرائع[1]) ، وهو المذهب الذى صاغه جيمس نفسه ما برحت له أطراف طويلة تمتد على الفلسفة الحديثة وعلى سلوك الناس . فقد قرر (موسوليني) يوماً[2] أنه « يدين لوليم جيمس بكثير من

(١) تتلخص (البراجماتيزم) فى « أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال » (قصة الفلسفة الحديثة للاستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود الجزء الثانى . صفحة ٦٢٤)

(٢) « قصة الفلسفة الحديثة » ص ٦٢٥ الجزء الثانى

آرائه السياسية ، وأنه بتأثيره لا يحتكم فى سياسته إلى نظريات العقل المجرد ، إنما يسلك من السبل ما يراه أقوم وأدنى إنتاجاً »

ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن (نيتشه) الفيلسوف الألمانى المتوفى سنة ١٩٠٠ ، أى قبل وفاة وليم جيمس بعشر سنوات ، له جانب كبير من فلسفته ما زال (معاصراً) على الرغم من مرور السنين ووفاة صاحبها . فالدكتاتورية اليوم ، ومظهرها النازية والفاشية ، بدعوتها إلى استخلاص العنصر الآرى ورعايته بهدد جانب العناصر الأخرى ، إنما تستمد معينها من فلسفة (نيتشه) ، التى تقوم على عبادة القوة ، إذ القوة فى نظر هذا الفيلسوف ، كما هى فى نظر الألمان والإيطاليين اليوم ، هى الفضيلة السامية ، والضعف هو النقيصة السافلة ، والشر المستطير الذى يجب القضاء عليه ! !

فإذا كان الأستاذ متولى لا يفهم هذا ، أو هو لا يريد أن يفهمه مكابرة وعناداً فما نحن أولاء نسوق إليه براهين حسية تنهض حجة على ما نذهب إليه فى أن كلمة (معاصر) يذهب معناها إلى ما قررناه ، وقرره قبلنا كبار الكتاب والنقاد .

(أ) ألف العلامة دانيل مورنيه Daniel Mornet كتاباً فى الأدب الفرنسى أسماه (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين ١٨٧٠ — ١٩٢٧)[1] درس فيه الشعراء والكتاب منذ ١٨٧٠ ، فقدم أبحاثاً عن (زولا) و (دوديه) و (موباسان) و (فلوبير) وغيرهم من الكتاب و (بودلير) و (فيرها رين) و (مالارميه) و (فارلين) من الشعراء ، باعتبار أنهم كتاب وشعراء معاصرون في حين أن جلهم توفوا منذ سنوات بعيدة ، ذكر (مورنيه) هؤلاء وغيرهم إلى جانب المحدثين باعتبار أن مذاهبهم فى الأدب ما برحت تسود نواحى من نتاج الأذهان فى هذا العصر

هذا فى المؤلفات الأدبية ، وفى مؤلف يقرأه طلاب الأدب !

(ب) وفى الفلسفة — والأمثال عديدة — أخذ العلامة Parodi بالمعنى الذى ذكرناه لكلمة (معاصر) وذلك فى كتابه (المسئلة الأخلاقية والفكرة المعاصرة)[1] ، وهو كتاب ظهرت له طبعة بباريس سنة ١٩٠٩ ، وفيه أنشأ المؤلف بحثاً فى آراء العالم الأخلاقى الكبير Alfred Fouillée صاحب مذهب (الآراء على أنها قوى) ، وحصل بعد ذلك أن توفى العالم المذكور سنة ١٩١٢ ، وفى عام ١٩٢٠ أعيد طبع هذا الكتاب بعد الزيادة والتنقيح . فإذا هو لا يزال يحمل اسم (الفريد فوييه) باعتبار أن آراءه فى الأخلاق ما برحت قائمة ، ولم يأت بعدها ما يعطلها أو يضفى عليها مسحة فوات الأوان !

فما رأى الأستاذ متولى فى هذا ؟ وبماذا يحكم القارئ ؟ أنا أم متولى الذى يصح أن يقدم إلى المحكمة التى تحاسب المستهترين المتطاولين على العلم ؟

(٢) الرمزية وعلم النفس وأيهما أفاد من الآخر ؟

وثمت شىء آخر لا أسميه من جانب الأستاذ متولى الذى يحمل من العلم شهادة يزهى بها

ذكرنا عرضاً فى مقالنا[2] الذى صححنا فيه أخطاء متولى أن علم النفس أفادت منه الرمزية ، فرد علينا متولى بأسلوبه الموسوف : « إن علم النفس عندنا شبح خاطئ لا يزيد على ما نسمعه من بعض زبائن قهوة بيرون »

وردنا المتواضع أن نكلف الأستاذ متولى مشقة قراءة كتاب (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين) السابق الذكر (الفصل الرابع الذى عنوانه « فى البحث عن العوالم الخفية » صفحة ٨٩—٩٢) حيث رسم المؤلف العلامة (مورنيه) اتجاهات علم النفس عند الكتاب الانباعيين والرومانيين ، ثم عند الواقعيين والطبيعيين ، ليستطرد القول بعد ذلك فى اللاوعية (l'inconscient) وتقتطع فقرة مما ورد فى صفحة ٩٢ خاصاً بما نذهب إليه ليقف القارىء على جلية الأمر ويحكم لنا أو علينا ، وها نحن نترجم هذه الفقرة حرفياً : « وعند الفيلسوف برجيسون وغيره أصبح (اللاوعى) الشكل العادى للحياة الروحية ، كما

(١) اسمه بالفرنسية Histoire de la littérature et de la pensée française contemporaines طبعة باريس ١٩٢٧

(١) اسمه Le problème moral et la pensée contemporaine

(٢) الرسالة عدد ٣٧٨ ص ١٥٢٠ . المجلد الأول ص ٧ .

أنه غدا النبع الحق الواسع العميق الذى تقطر منه حياتنا الواعية المنطقية . وإلى هــذا النبع قصد الرمزيون منذ سنوات عديدة يغترفون من معينه ، وسار على أثرهم القصاصون والمؤلفون المسرحيون »

وإتماماً للفائدة التى نبتغيها للأستاذ متولى من هذا الدرس العابر نحيله إلى (الفصل الخامس) من الكتاب نفسه (ص١٠٧) لنضيف إلى ما تقدم ذكره ، تأثير فلسفة برجيسون فى الرمزية عن طريق تغليب (البصيرة) على الذكاء والمنطق

وعليه فظاهر مما تقدم أن آراء برجيسون فى علم النفس أثرت فى الرمزيين ومن ذهبوا إلى استكناه العوالم الخفية ، بعد أن نفى برجيسون مقدرة الذكاء والمنطق ، وأكد تغليب الحياة الباطنة على الحياة الظاهرة . وكفى هذا دلالة على انبساط أطراف هذه الآراء على الرمزية وما تشعب منها فأفادت منها .

(٣) أين هذا النص ؟

وهناك فى مقال الأستاذ متولى مثال ثالث ساقه لى ليقيم الحجة على أنه « يعرف موضوعه لدرجة تسمح له أن يصحح لى ولدكتور بشر فارس أوهاماً علمية نعيش فيها »

يقول متولى إن كتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس (طبعة ١٩٢٣ — ١٩٢٤) ، وهو الكتاب الذى كان اعتمادنا عليه فى التدليل القاطع على أن آراء (ريبو) فى الرمزية فات أوانها ... متولى يقول إن طبعة هذا الكتاب « منسوخة لأنها تطبع الآن فى تسعة أجزاء زيادات وتفصيلات ، وقد ظهر الجزء الخامس منها عام ١٩٣٦ ... الخ »

والذى ندلى به فى هذا أنه من الجائز أن يصادر طبع هــذا الكتاب ، وأن تدخل عليه زيادات وتفصيلات ، ولكن الذى لا نجيزه أن يختلق الأستاذ متولى أن الكتاب قد (نسخ) ولما يمض على الطبعة التى اعتمدنا عليها عشر سنوات ، لأن (النسخ) إنما يأتى عن طريق إحلال آراء مكان آراء ، وما على الأستاذ متولى إلا أن يقدم النص الجديد فى الطبعة الجديدة . وهو النص الذى ينسخ النص الأول الذى سقناه عن كاتبه العلامة (أبيل راى Abel Rey) الذى عقد فصلاً بعنوان (الاختراع) فى الجزء الثانى من الكتاب المذكور ص ٤٢٦ ، وفيه طعن فى نظرية (ريبو) النفسية ...

بيد أننا نؤكد أن متولى لن يقدم هذا النص ، وعليه فسيبقى قائماً طعن (أبيل راى) فى (تخيلة) ريبو ، من حيث إنها خاضعة بعض الشىء لمذهب (الذرية الذهنية) وهو مذهب لا يؤخذ به اليوم . سيبقى هذا الطعن قائماً على الرغم من أنف الأستاذ متولى ، ما دام نظر العلماء إلى مذهب (الذرية الذهنية) حتى يومنا هذا يرفض الأخذ به

وقد يتساءل القارئ : لماذا يفتعل متولى هذه الأفاعيل ويغتاث على الآراء الفلسفية متحرجاً راكباً رأسه ؟ والجواب على هــذا لا يخفى على من يعرف حكاية الثعلب الذى يطلق من جوفه ريحاً تعافها الأنف إذا أخذته الأيدى من كل حدب !!

نقف هنا وقد كفانا تدليلاً على ما تورط فيه متولى بعد أن ركب من غضبته شر الحمر

وفى مقالنا الآتى درس فى الرمزية ، كما نظر إليها (ريبو) نفسه ، وكما أساء فهمها الأستاذ متولى

(الحديث بقية)

زكى طليمات

رحلتى إلى الحجاز

تأليف الأستاذ حسن حسن خرسا بكلية الشريعة . يصور هذا الكتاب الرائع البلاد الحجازية تصويراً رائعاً فيتناول وصف تلك البلاد وما فيها من الأماكن المقدسة وصفاً دقيقاً بأسلوب سهل ويبين كيفية أداء الفريضة ، ويحلى بعدة صور وخرائط . وفى الجملة فهو دليل لاغنى عنه .

ويرسل الكتاب بالبريد لمن يطلبه من مكتبه مراد لصاحبها عبد الرحمن مراد بشارع جوهر القائد — الكلا الجديدة سابقا — بمصر نظير ٣٠ مليما خالص أجرة البريد